

الحروف الزراعية - خصائصها ودلالاتها - علاقة المرأة بها

الحلقة السابعة :

الزراعية ، وحرفا (الميم واللام) لكثرة دورانها في حروف المعاني كما أسلفنا في الحلقة الثانية ، ولعلاقة معانيهما أيضاً بخصائص المرأة الفطرية ووظائفها المنزلية . فماذا عن هذه الحروف ؟ .

أولاً : حرف الفاء :

1 - خصائصه ودلالاته:

بتأمل طريقة التلفظ بصوت هذا الحرف ، نجد أن الاسنان العليا هي التي تضرب على الشفة السفلى حبساً للنفس عند خروجه من جوف الصدر . ثم يبدأ صوته بشيء من - الخفيف عند احتكاك النفس بأطراف الاسنان العليا والشفة السفلى وبعثرته . وبانفراج الفكين عن بعضهما واسعاً ، يخرج صوته واضحاً مشبعاً .

وهكذا تتلخص الخصائص الایمائية التمثيلية لهذا الحرف ودلالاته في ثلاث :

أ - ضرب الاسنان العليا على الشفة السفلى ، يماثل ضربة عظم حيواني أبيض على أرض طرية مما يضاهي أحداث الحفر والقطع

إن المرأة بحكم أمومتها الفطرية واضطلاعها بتربية الأطفال وتنشئتهم ، كانت على مر الزمن الأغزر عاطفة والأولع بفنون المداعبة والرقص والتمثيل .

كما أنها بحكم اضطلاعها بالشؤون المنزلية كانت الأبرع أيضاً في دنيا الصناعات اليدوية ومبتكراتها .

أمومة فطرية وتخصصات مهنية قد جعلتا قسماً وجهها وأعضاءها الجسدية أكثر طواعية لارادتها .

وهكذا كانت المرأة الغاية في بواكير المرحلة الزراعية مؤهلة أكثر من الرجل الصياد لابتداع الحركات الایمائية التمثيلية تعبيراً عن حاجاتها الحضارية المتسجدة ومعانيها المبتكرة . ولاشك في أن الكثير من تلك الحركات والأصوات المرافقة لها قد مات بفعل التطور فلم يبق منها إلا ما تحول إلى أصوات حروف . ولقد كان منها يقيناً أصول حروف (ف. ل. م. ث. ذ) واحتمالاً حرفا (ش. خ) .

ولكننا حذر الاطالة سنقتصر هنا على ثلاثة منها : حرف (الفاء) للرابطة المهنية بينه وبين المرأة

والفصل في الطبيعة .
ب - بعثرة النفس مع بداية خروج صوته ،
تضاهي أحداث البعثرة والتشتت في
الطبيعة .
ج - انفراج الفكين عن بعضهما بعد خروج
صوته يضاهي أحداث التوسع والانفراج
والتباعد في الطبيعة .

والحدث المهني ، بالحركات الایمائية التمثيلية أصول
حرف (الفاء) ، على وجه ما بينا آنفا .
ولقد أفاد الانسان العربي من طريقة التلفظ
بصوته ، فأبدع المزيد من المصادر الجذور التي تبدأ
به تعبيراً عن المعاني التي تتعلق بالحياة الزراعية مثال :
(فأس الخشبة (شقها) ، فأى . فتق . فجر . فجو .
أفرخت البيضة (انفلقت عن الفرخ) . فرخ . فسق .
كل ذي قشر (خرج عن قشرة) فسل . فصم .
فصل . فصى . نظم . فطر ، فقح فغا . فقس .
فقس . فقش . فقصر . فق فلج . فلح . فلق ...) وما إليها
من الأحداث التي تتعلق بشؤون النبات في المرحلة
الزراعية .

أما المصادر التي تتعلق بمعانيها بالحياة الرعوية
المشردة ، فقد اقتصرت على ستة ، هي
(الفحل - القدام) . الفراء (حمار الوحش) . الغلاة .
(الفهد . الفيض) .

وهذه الظاهرة من التخصص الزراعي نلاحظها
في حرف (اللام) أيضاً . فلم نعثر إلا على مصدر
واحد يبدأ به مما يتعلق معناه بالحياة البدوية هو : (لاه
السراب) اضطرب وبرق .

وذلك على العكس حرف (العين) الرعوي
فلقد كثرت المصادر التي تبدأ به مما يتعلق معناه
بالحياة الرعوية من أسماء الابل والأسد والأصوات وما
يوجد في البوادي من وحوش وحشرات ونبات ،
وما إلى ذلك من معاني الشدة والصلابة والفعالية
والفخامة التي تتصف بها الحياة البدوية . ولم نعثر
فيها على أي مصدر يتعلق معناه صراحة بالحياة
الزراعية .

2 - معانيه المعجمية :
بالرجوع إلى المعجم الوسيط عثرنا على
(221) مصدراً جذراً تبدأ (بالفاء) كان منها (58)
لمعاني الحفر والقطع والشق والفصل و (14) لمعاني
البعثرة والتشتت والانتشار و (48) لمعاني التوسع
والانفراج . وذلك بما يتوافق مع خصائصه الایمائية
التمثيلية الثلاث عبر مراحل خروج صوته .

كما عثرنا على (21) مصدراً لمعاني الضعف
والرقة والطراوة ، بما يتوافق مع صدى صوته الواهي
في النفس لتتفوق بذلك خصائصه التمثيلية على
الایمائية بستة أضعاف تقريباً ، مما يقطع بانتمائه إلى
المرحلة الزراعية . تتمتع شخصيته بشيء من الشدة ،
إذ بلغ تأثير خصائصه في معاني المصادر بنسبة
(64،5) في المئة .

وما يثير الدهشة أننا لم نعثر على أي مصدر
جذر يبدأ بالفاء مما يدل معناه على الالتصاق لتعارضه
مع خصائصه الایمائية التمثيلية ودلالاتها في الشق
والفضل والتوسع .

3 - علاقته بالمرأة :

لما كانت المرأة هي صانعة المرحلة الزراعية كما
أسلفنا ، تحفر الأرض الطرية بعظم حيواني أبيض ،
فمن البدهة أن تعبر هي ابتداء وليس الرجل عن هذا

ثانيا : حرف الميم :

ومما يثير الدهشة ، أننا لم نعثر على أي مصدر منها يدل معناه على السد والانغلاق بينما كان هناك (15) مصدراً تنتهي بالميم لهذه المعاني . وذلك يعود إلى أن الشفتين والفكين يستقران في انطباقهما على بعضهما عند التلفظ بصوته في نهاية المصادر ، فلا تفرجان ، على العكس من حالهما في المصادر التي تبدأ به .

1 - خصائصه ودلالاته :

يبدأ صوته بانطباق الشفتين على بعضهما البعض في ضمة متأنية حبساً للنفس .

وبانفراجهما يخرج النفس ويستكمل الصوت شروطه من الوضوح والأشباع . وبذلك تتلخص خصائصه الایمائية التمثيلية ودلالاتها في ثلاث :

أ - انطباق الشفة على الشفة يضاهاي الأحداث التي يتم فيها الضم والجمع والانفلاق .
ب - ضم الشفة على الشفة بشيء من الشدة والثاني ، قبيل خروج صوته يضاهاي الأحداث التي يتم فيها المص والرضاع بالشفتين .

ج - انفراج الشفتين عن بعضهما أثناء خروج صوته (ما) يضاهاي الأحداث التي يتم فيها التوسع والامتداد .

2 - معانيه المعجمية :

بالرجوع إلى المعجم الوسيط عثرنا على (253) مصدراً جذراً تبدأ به . كان منها (33) لمعاني المص والرضاع والحلب واستخراج ما في الأشياء المجوفة ، (22) لمعاني الجمع والضم والكسب والغضم والمضغ و (24) لمعاني التوسع والامتداد والانفتاح . وذلك بما يتوافق مع الخصائص التمثيلية الثلاث التي ترافق مراحل خروج صوته . كما كان منها (45) مصدراً لمعاني المرونة والرقّة بما يتوافق مع موحيات صوته ، مما يؤكد صحة انتماؤه إلى المرحلة الزراعية وحروفها الایمائية .

شخصيته متوسطة الشدة ، إذ بلغ تأثير خصائصه في معاني المصادر (50%) فقط .

وذلك على مثال ما نلاحظ وجود (17) مصدراً جذراً تبدأ بحرف (الثاء) لمعاني الشق والانفراج والسيلان ، ولا شيء منها للمصادر التي تنتهي به . نهج أصيل قد استقر عليه الانسان العربي في تعامله مع حروفه . ومعانيها ؛

3 - علاقته بالمرأة الأم :

إن خاصية المص هي أبرز الخصائص الایمائية التمثيلية لهذا الحرف ولما كانت المرأة الأم هي المعنية أصلاً بإرضاع الطفل فمما لاشك فيه أنها هي وليس الرجل التي أبدعت أصول هذا الحرف ، بشد الشفة على الشفة في صوت (ما) المشددة ، للتعبير عن واقعة مص الطفل ثدي أمه . ثم تطوّر معنى (ما) إلى معنى الأم ، أمزجاً كانت أم غير مرضع وفي مرحلة أمانة الحروف الجوفية ، طور العربي لفظة (ما) إلى (ام) ، بإبدال الهمزة الصامتة في أولها بالألف اللينة الصائتة في آخرها . ولفظة (ماما) في لهجاتنا العامية ما هي إلا الأرومة التاريخية لكلمة (أم) المعاصرة .

ويبدو لي أن الشعوب الغربية قد اقتبست هذه الكلمة عن اللغة العربية . فلفظة (ماما) موجودة أيضاً في معظم لهجاتها المحلية . كما أن الكلمة التي تدل على معنى (الأم) في معظم لغاتهم تبدأ بحرف (الميم) من الألفاظ الدالة على رضاع الطفل ثدي أمه .

((مرثه . مرزه . ملجه . ملق الصبي أمه
(رضعها) (...)).

ومنها ما يدل على رضاع الفصيل من الابل
ضرع أمه .
(معجه - مغده - مقعه - مقمقة - مقاه
مقواً) .

ثالثاً : حرف اللام :

1 - خصائصه ودلالاته :

يبدأ خروج صوته بانطباق طرف اللسان على
سقف الحنك قريباً من اللثة العليا حبساً للنفس ، ويتم
بانفصالهما عن بعضهما البعض . وبذلك تقتصر
خصائصه التمثيلية على اثنتين فقط .

أ - التصاق طرف اللسان بسقف الحنك ،
يضاهي الأحداث التي يتم فيها الالتصاق
والتماسك .

ب - تلاعب طرف اللسان بصوت الحرف ،
يضاهي تلاعبه باللقمة عند نصفها .

2 - معانيه المعجمية :

عثرنا في المعجم الوسيط على (212) مصدراً
جذراً تبدأ بهذا الحرف . كان منها (82) لمعاني
الالتصاق والتماسك ، و (53) لمعان تتعلق بعمليات
التذوق والأكل واللحس والأطعمة ، وما إليها ، بما
يتوافق مع خصائصه الایمائية التمثيلية عبر مرحلتي
خروج صوته . وكان منها (5) مصادر فقط لمعاني
المرونة والليونة والتماسك ، يتوافق مع إيجاءاته الصوتية
مما يقطع بعراقته الایمائية .

تتمتع شخصيته بشيء من الفتوة ، إذ بلغت
نسبة تأثير خصائصه في معاني المصادر التي تبدأ به
(65%) .

وعلى الرغم من خاصية الالتصاق الرئيسية في
حرف (اللام) فإن علماء اللغة العربية وفقهاءها قد
حرموه منها ظلماً وتجنباً في حروف المعاني ،
وأسندوها تحيزاً ومحابة إلى حرف (الباء) بلا سند
فقهي مقبول . ولنا عودة إلى هذا الخطأ في الحديث
عن معاني حروف المعاني .

ومما يثير الدهشة أيضاً ، أننا لم نعثر على أي
مصدر يبدأ به تدل معانيه على الانفراج أو الشق أو
التوسع ، وذلك لتعارض هذه الأحداث مع
خصائصه الایمائية التمثيلية ودلالاتها في الالتصاق ،
على العكس مما لحظناه في حرف (الفاء) .

3 - علاقته بالمرأة الطاهية :

لما كانت شؤون التغذية أكثر التصاقاً بفطرة
المرأة ووظائفها المنزلية ، فلقد كانت هي المندبة أصلاً
للتعبير عن معانيها بحركة لسانية تضاهي حوادث
الأكل واللوك واللحس وما إليها .

ولقد أفاد العربي عبر تطوره الحضاري
واللغوي من خاصية تلاعب اللسان بصوت (اللام)
على مثال تلاعبه باللقمة فأبدع المزيد من المصادر
الجذور التي تتعلق بمعانيها بمؤسسة التغذية . منها :

(لحس - لس - لسد العسل ولحسه - لطح
- لعص - لصق - لقم - لمج - تلمظ - لاس -
لاك - لاق الطعام - اللسان - اللعاب - اللغمط
- اللبن - اللغفة - اللحاك - اللوكة ... الخ) .

ولئن كانت المصادر التي تدل معانيها على
الالتصاق أكثر من المصادر التي تتعلق معانيها بشؤون
التغذية ، إلا أن هذه الأخيرة هي الأصل الفطري في
معاني (اللام) . فمعاني الالتصاق الحضارية قد تكون
مصادرها جميعاً من مبدعات الرجل في المرحلة
الرعوية ، أما معاني الأكل ومتعلقاته ، فهي ألصق

بفطرة المرأة . والفطري هو بدهاء أعرق في القدم من الحضاري . وهكذا كانت المرأة أولى بحرف (اللام) من الرجل .

رابعا : ولكن ماذا عن بقية الحروف الایمائية التمثيلية :

حذر الاطالة سأقتصره على الحديث في ملح عن علاقة المرأة العربية بهذه الحروف في المرحلة الزراعية .

1 - حرفا (الذال والثاء) :

إن المرأة بحكم أمومتها الفطرية كانت هي المندبة أصلاً للتعبير إيماء عن جنسي الذكورة والأنوثة ، فأبدعت أصول هذين الحرفين . ثم تهذب النطق بهما في مرحلة رعوية لاحقة فصارا إلى (الذال والثاء) المعاصرين بلثغة لسانية ملحوظة تتوافر في صوت كل منهما خصائص الجنس الذي يمثله .

2 - حرف (الشين) :

وبحكم اضطلاع المرأة بالأمور المنزلية ، كانت هي المندبة لابتداع أصول هذا الحرف إيماء بكثرة واسعة عن الأسنان مع مط الشفتين إلى الامام أثناء تدافع النفس وبعثرته ، وذلك للتعبير عن معاني التفاهة والخلط والبعثرة والتشتت والجمع العشوائي والانتشار ، وما إليها من متعلقات الأمور المنزلية ، مما نلاحظه في معانيه (56) مصدراً تبدأ به و (85) مصدراً تنتهي به .

3 - حرف (الخاء) :

ولما كانت المرأة في المرحلة الزراعية هي المعنية باستئناس الحيوان وتربيته فلقد كانت هي أيضاً المندبة للتعبير عن معاني القذارة التي تعترض حياتها اليومية . فأبدعت أصول هذا الحرف (إيماء) بكثرة موسعة و(إيماء) بصوت ظاهر الخنخنة ، تعبيراً عفويًا عن

الاشتمزاز والتقزز . ثم استثمر الانسان العربي هذه الخصائص في مراحل لغوية متطورة للتعبير عن معاني القذارة والفحش والأمراض والعيوب العقلية والنفسية والجسدية والاضطراب والتفاهة وما إليها في (146) مصدراً تبدأ به ، و (43) مصدراً تنتهي به و(28) مصدراً يتوسطها . فكان حرف (الخاء) بذلك حاوية القمامة في بنية اللغة العربية الشاعرى الأنيق . لا يغير من مهمته هذه إن سقطت سهواً في هذه الحاوية بعض اللآلىء والدرر (خير - خصب - خضرة - خليل - خفر .) .

خامسا : القيمة العلمية للحروف الایمائية التمثيلية :

لما كنا لانزال نحيا لغوياً في العصر الجاهلي ، فإن الكشف عن الخصائص الایمائية للحروف العربية كما نوهنا في الحلقات السابقة ، لا يضيف أي عمق حضاري آخر إلى تراثنا اللغوي .

ولما كان علماء اللغة العربية وفقهاؤها القائلون بفطرة اللغة العربية قد بهرتهم هذه الظاهرة الایمائية في أصوات الحروف العربية ، فقد توقفوا مدهوشين عندها ، ولم يبحث أحد منهم بجديّة عن الخصائص الایمائية التمثيلية في الحروف العربية . وفاتهم بذلك أن يتقبوا عميقاً عند جذورها الغاية والزراعية .

وهكذا فالاهتداء إلى الخصائص الایمائية التمثيلية لهذه المستحاثات من الحروف العربية ، يكشف لنا عن مراحل تطور اللغة العربية ، بدءاً من الغابي فالزراعي فالرعوي حتى العصور الجاهلية .

وهذا الاكتشاف لا يقل أهمية في دنيا اللغات عالمياً عن اكتشاف إنسان (أستراليا) وغيره من المستحاثات البشرية بمعرض البحث عن تطور الإنسان على وجهي الأرض والتاريخ منذ ملايين الأعوام .

فماذا عن المرحلة الرعوية وحروفها...؟